نساء في الإسلام

*   *   *

أُمُّ الدَّرْداء

رَضِيَ اللّهُ عَنها

نجلاء شوقى حسن

نساء فى الإسلام

أُمُّ الدَّرداء

رَضِىَ اللّهُ عَنها

تأليف

نجلاء شوقى حسن

الناشـر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

أمُّ الدَّرداء

رضِىَ اللّهُ عَنها

انْطلقَت سَيّارةُ الرِّحلاتِ المَدرَسِيَّة ، وعليْها الطالِباتُ المُشتَرِكاتُ فى رِحلَةِ زِيارَةِ الحَديقَـةِ الدَّولِيَّـة ، ومعَهـنَّ بعـضُ المُشـرِفات ، وكـانَ الوقتُ مُبكِّرا ، والجَوُّ صَحوًا مُشرِقًا جَميلا .

وعندَما توقّفتِ السَّيّارةُ أمامَ بابِ الحَديقة ، هبطتْ مِنها الطّالبات ، ودَخلـنَ الحَديقَـةَ فـى مَوكِـبٍ تَتقدَّمُـهُ الأُسـتاذَةُ فـائزَة ، كبـيرَةُ المُشرِفات .

وكـانَ بعـضُ الطّالبـاتِ يَحمِلـنَ لَـوازِمَ الرِّحلَة ، من طَعامٍ وشَرابٍ وأدواتِ اللّعـب ،

مثلَ الكُراتِ والمَضارِبِ وغَيرِها .

وكانتْ الحَديقَـةُ واسِعَةَ الأرْجاء ، جَميلـةً بكَـثرةِ أشْـجارِها بِلَونِهـا الأَخضـرِ الجَميـل ، وكـانَ يصـدُرُ عـن الطّالِبـات ، أصواتُهُـنَّ وضَحِكاتُهنَّ العالِيَة . إلى أن توقّفتِ الأُستاذَةُ فـائزَة ، عِنـدَ مَوضِـعٍ مـن الحَديقَـةِ اخْتارَتْـه ، وَطلبتْ مِنهُنَّ احْتِلالَه .

ثـمَّ انطَلقـتِ البَنـاتُ هُنـا وهُنـاك ، يَلعَـبنَ ويَمرَحنَ في سَعادَةٍ وسُرور ، بَينَمـا جَلسـتِ الأُستاذَةُ فائِزَةُ مع زَميلاتِها يُراقِبنَ الطّالِبات .

وقـامَتِ المُشـرِفاتُ وقـتَ الغَـداء ، بتَوزيـعِ الأطْعِمَـةِ والمَشـروباتِ علـى الطّالِبـات ، ثـمَّ

طَلبتْ مِنهُنَّ الأُستاذَةُ فائزَة ، أن يَجلِسنَ على هَيئَةِ دائِرَةٍ ليَسترِحنَ من اللَّعب . ثمَّ أعلنتْ عنْ جائِزَةٍ قيمَتُها خَمسةُ جُنيهات ، لمنْ تَستَطيعُ من الطالِبات أن تَحكى حِكايةً عن شَخصِيَّةٍ إسْلامِيّة ، منَ النِّساءِ خاصَّة ، بشَرطِ أن يَكونَ ما تَرويهِ عن هذه الشَّخصِيَّة ، لا تَعرِفُهُ سائرُ الزَّميلات . فرَفعتْ ماجدَةُ يدَها مُستأذِنَة ، فأذِنتْ لَها الأُستاذَةُ فائزَةُ بالحَديث ، فقالَت : سأَروى لكنُّ حِكايَةَ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهراء ـ رضِىَ اللَّه عَنها ـ فصاحَتْ بعضُ الطَّالباتِ تُطالِب كلٌّ مِنهُنَّ أن تَقومَ هى برِوايَةِ القِصَّة .

فقالتْ عَبير : أنا يا أُستاذَةُ سـأَروى حِكايَـةَ أسماءَ بنتِ يَزيد ، فصـاحَتْ الطالِبـاتُ كـالَمرَّةِ السّابقة .

فقـالَت أمـيرَة : أمّـا أنـا فسَـأحْكى حِكايَــةَ السَّيِّدَةِ عائشَةَ أُمِّ المؤمِنين ـ رَضِىَ اللّه عنها ـ فصاحتْ الطّالباتُ أنّهنَّ يَعرِفنَ كلَّ شَىءٍ عـن أمَّهاتِ المُؤمِنين ..

قالتِ الأُستاذَةُ فائزَة : الظّاهِرُ أنّنا لن نَجِـدَ الطّالِبةَ الّتى ستَفوز ، لأنَّ كلَّ الأسْـماءِ الّتـى ذُكِرت ، نَعرِفُ عنْها الكَثير . فجـأةً رَفعـتْ نورا يَدَها عالِيا ، فـأذِنَت لهـا الأسْـتاذَةُ فـائزَةُ بالحَديث فقالَت : أمّـا أنـا فسأَتحدَّثُ عـن أُمِّ

الدَّرداء . فضحِكت بعضُ الطّالِبات ، ظنًّا مِنهُنَّ أنَّ نورا نَطقَت الاسْمَ خَطَأ . فأعادَت نورا نُطقَ الاسْمِ وقالَت : نعم سأَحكى لكُنَّ عن أُمِّ الدَّرداء .

سادَ صَمتٌ عميقٌ فى هذِه المرَّة ، على غَيرِ العادَة ، ولم تَجدِ الأُسْتاذَةُ فائِزةُ من يَعتَرِضُ منَ الطّالِبات ، فقالَت : حَسنًا يا نُورا ، احكى لنا عن هَذهِ الشَّخصِيَّة .

ثم طلبتْ من جَميعِ الطَالِباتِ الصَّمتَ والهُدوء ، حتّى تَنتَهِىَ نورا من قِصَّتِها .

* * *

قالَت نورا :

كـانتْ أمُّ الـدَّرداءِ فَقيهَـةً عاقِلَـة ، وعالِمـةً جَليلَـة ، واسِـعَةَ الاطِّـلاع ، وافِـرَةَ الذَّكـاء ، زاهِدَةً مُتَقَشِّفَة . روتِ الكثيرَ عن زَوجِها أبى الـدَّرداء ، وسَـلمانَ الفارِسـىِّ الّـذى آخـى رَسولُ اللّه ـ صلَّى اللّهُ عليـه وسـلَّم ـ بينَـه وبينَ زَوجِها أبى الدَّرداء . كذلكَ روَتْ عـن أبى هُريْرَة ، وعن عائِشةَ أمِّ المُؤمِنين .

وروَى عنها جَماعـةٌ مـن التّـابعينَ الكِبـار ، منهم جُبَيرُ بنُ نَضير ، وابنُ أخيها مَهـدِىٌّ بـنُ عبـدِ الرَّحمـن ، ومولاهـا أبـو عِمـرانَ الأنْصارِىّ، وصفْوانُ بنُ عبـدِ اللّـه ، ورَجـاءُ ابن حيوَيَّة ، وهِلالُ بن يَسار ، وآخَرون .

كما أوردَ عنها كلٌّ من مُسلِم ، وأبى داوُد ، والتّرمِذىّ ، وابنِ ماجَه ، وقد ذكرَها ابنُ سَميعٍ فى الطَّبقةِ الثانِيَةِ من تابعى أهْلِ الشّام .

كان أبو الدَّرداءِ عُويْمِرُ بنُ مالِكٍ بن زَيد ، صحابِيًّا من صَحابةِ رَسولِ اللّه ـ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم ـ بعدَ غزوَةِ أُحُد ، وكانَ فَقيهًا عاقِلاً حَكيما . قالَ عنه النَّبىُّ الكَريم : (عُويمِرٌ حَكيمُ أُمَّتى) . تزوَّجَ أبو الدَّرداءِ من زَوجَتين ، عُرِفتْ كِلتاهُما بأُمِّ الدَّرداء . وتَميَّزتِ الأولَى باسْمِ أُمِّ الدَّرداءِ الكُبرَى ، والثّانيَةُ باسْمِ أُمِّ الدَّرداءِ الصُّغرَى . والكُبرَى

هى خَيِّرَةُ بنتُ أبى حَدرَدٍ الأسْلَمِىّ ، تُوفِّيتْ قبلَ أبى الدَّرداءِ بسَنَتَينِ بالشّام ، فى خِلافَةِ عُثمان ، والصُّغرَى هى بَطلَةُ قِصَّتِنا ، واسمُها هُجَيمَةُ بنتُ حُيَىٍّ الوَصّابيَّة الدِّمَشقِيَّة ، وتُعرفُ بأمِّ بِلال ، وأمُّ الدَّرداءِ الصُّغرى ، وتوفِّيتْ فى خِلافَةِ الأَمويّين .

كانتْ أمُّ الدَّرداءِ تَجلسُ لِلصَّلاةِ فى صُفوفِ الرِّجال ، وكانتْ ملازِمَةً للعِبادَة ، لا تَفتُرُ عن الصَّلاة ، وكانتْ تُحبُّ مجالِسَ العُلَماء . وكانَ لَها مجالِسُ عِلمٍ بدِمشقَ والقُدس ، ولها تَلاميذُها منَ النِّساءِ والرِّجال .

وكانتْ لَها أقوالٌ فى العِلمِ والحِكمَة ، مِنها « أَفضلُ العِلم المَعرِفَة » و« تَعلّموا الحِكمةَ صِغارًا تَعمَلوا بها كِبارا » و« ما وَجدتُ شيئًا أشفَى لصَدرى ولا أحْرَى أنْ أُصيبَ به الّذى أُريدُ من مَجالِسِ الذِّكر » .

وكانتْ أمُّ الدَّرداءِ زاهِدَةً ورِعَةً دائمةَ التّذكُّرِ لِلمَوت ، وكانَ رجلٌ قد قالَ لها « إنّى لأجدُ فى قَلبى داءً لا أَجِدُ له دَواء ، وأجدُ قَسوَةً شَديدَةً وأمَلاً بَعيدا » . فقالتْ له : « إنّ شِفاءَك فى اطِّلاعِكَ على القُبور ، ومُشاهَدَةِ المَوْتَى » .

ولمّا تُوفّىَ أبو الدَّرداء ، خَطبَها الخَليفَةُ مُعاوِيَةُ بنُ أبى سُفيانَ لنَفسِه ، فقالَت : « لا واللّه لا أتَزَوَّجُ ثانِيَةً فى الدُّنيا حتّى أتزوَّجَ أبا الدَّرداءِ إن شاءَ اللّهُ فى الجَنّة » .

وكانتْ أمُّ الدَّرداءِ تَقضى وقْتَها مُعظَّمةً عندَ بنى أُميَّة ، تقيمُ ببَيتِ المَقدسِ ستَّةَ أشهُر وبدِمشقَ ستَّةَ أشهُر ، مُتفَرِّغَةً للعِبادَةِ والذِّكر ، ولِمَجالِسِ العِلم .

وكانَ الخَليفَةُ الأَمَوِىُّ عبدُ المَلكِ بنُ مَروان ، يُجلُّها ويُقدِّرُها ويَحضُرُ مجالِسَ عِلمِها ، وكانَ كثيرًا ما يجلِسُ إلَيها فى مُؤخّرِ المَجلِسِ بدِمَشْق . وحينَ يُنادَى للصَّلاةِ كان

يَقوم ، وتَقومُ أُمُّ الدَّرداءِ مُتوكِّئَةً عليه ، حتّى يدخُلَ بِها المَسجِدَ فتَجلِسَ مع النِّساء ، ويَمضي هو إلى المَقامِ ويُصلّي بالنّاس .

وبعثَ عبدُ المَلكِ إلَيها فكانت عِندَه ، فلمّا كان ذاتَ لَيلة ، قامَ عبدُ المَلِكِ من اللَّيل ، فدَعا خادِمَه فأبطأَ عنْهُ فلَعَنه . فلمّا أصبحَ عبدُ الملِكِ قالتْ له أُمُّ الدَّرداء : « قد سَمِعتُكَ اللَّيلةَ تَلعنُ خادِما » ، قالَ : « إنّه أبطأَ عنّي » . قالتْ : «سمِعتُ أبا الدَّرداءِ يقول : قالَ رسولُ اللّهِ ــ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم ــ : « لا يكونُ اللّعانونَ شُفعاءَ ولا شُهداءَ يومَ القِيامَه » . فاستحى مِنها

عبدُ المَلكِ ووَعدَها ألاّ يَعودَ إلى شَتمٍ أو لَعنٍ أبدا .

عُمِّرتْ أُمُّ الدَّرداءِ بعدَ وَفاةِ أَبى الدَّرداء ، وماتَتْ بعدَهُ بنحوِ نِصفِ قَرن ، فلقدْ كانتْ وفاةُ أبى الدَّرداءِ سنةَ ٣٣ هـ ، فى خِلافَةِ عُثمانَ وقبلَ مَقتَلِه بعامَين ، أمّا وفاةُ أمِّ الدّرداءِ فقد كانتْ سنةَ ٨١ هِجريَّة . ولقد دُفِنتْ فى دِمشقَ ببابِها الصَّغير ، وقبرُها لا يزالُ يُزارُ حتّى اليَوم .

* * *

قالتِ الأُستاذَةُ فائزَةُ فى رِضًا وسُرور :

ـ إنَّكِ تَستحِقّينَ الجائزةَ عن جَدارَةٍ يا نورا .

ثـمَّ طلبـتْ مـن الزَّميـلاتِ والطّالِبـاتِ أن يُصفّقنَ لَها .

ثم نهضَـتِ الأُسـتاذَةُ فـائِزة ، وكذلِـكَ جميـعُ المُدرِّسـاتِ والطّالبـات ، وتقدَّمـت نحـوَ نـورا تَضُمُّهـا إلَيهـا ، وتُقـدِّمُ لهـا قيمـةَ الجـائزَة ، خَمسةَ جُنَيهات ، ثمَّ سألَتها عمَّن أخبرَها عن هَذهِ الشَّخصِيَّةِ الجَليلَة .

فقالت لَها نورا : فى بَيتِنا مَكتبـةٌ لأبـى ، بِهـا كتبٌ فى كلِّ العلُوم . فعندَما أجدُ فـى وَقتـى فَراغا أشغَلُ نفسى بقراءةِ الكُتـب ، فتَزيدُنى عِلمًـا ومَعرِفَـة ، وأجـدُ مـن أبـى وأُمّـى كـلَّ تَشجيع .

(١٦)

قالتْ الأُستاذَةُ فائزَة : فى الحَقيقَةِ يا ابْنَتى لـم أكـنْ أعـرفُ شيـئًا عــن أمِّ الــدَّرداء ، وقــد عَرَفتُها الآنَ ، فشكرًا لكِ يا ابْنَتى .

نساء فى الإسلام

(١) السيدة صفية رضى اللّه عنها

(٢) أم هانئ رضى اللّه عنها

(٣) أم ورقة رضى اللّه عنها

(٤) أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها

(٥) نسيبة بنت كعب رضى اللّه عنها

(٦) أم الدرداء رضى اللّه عنها

(٧) السيدة نفيسة رضى اللّ

(٨) السيدة زينب رضى الل

(٩) فاطمة بنت الخطاب رضى ال

(١٠) فاطمة الزهراء رضى ال

03307475

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٥٠ قرشا